

التبيان في تفسير القرآن

(184) هذا حكاية ما أجاب به يعقوب بنيه لما قالوا له ماتقدم ذكره، أي إنما أشكو، والشكوى صفة ما يجده من البلوى، وإنما وصف (ع) ذلك بـ طلبا للفرج من جهته، والبث تفريق الهم باظهاره عن القلب، يقال: بثه ما في نفسه بثا وأبثه إثباتا، وبث الخيل على العدو: إذا فرقها عليه. وقال ابن عباس معنى (بثي) همي. وقوله " واعلم من ا ب مالاتعلمون " قيل في معناه قولان: احدهما - قال ابن عباس: اعلم ان رؤيا يوسف صادقة واني ساجد له. والثاني - قال قتادة: أعلم من احسان ا ب م (عزوجل) الي ما يوجب حسن ظني به، وإنما جاز على يعقوب وهونبي، ان يبكي حتى تبيض عيناه من الحزن، لان عظم المصيبة يهجم على النفس حتى لا يملك معه القرار بالصبر حتى يرتفع الحزن، مع انه على ولد لا كالاولاد، في جماله، وعقله، وعفافه، وعلمه، وأخلاقه، وبره، من غير تأسيس يوجب السلوة، ولارجاء يقرب الحال الجامعة، ومع هذا فلم يكن منه الا ما يوجب الاجر العظيم والثواب الجزيل الكريم، والبكاء ليس بممنوع منه في الشرع، وإنما الممنوع اللطم، والخدش، والجز، وتخريق الثياب، والقول الذي لا يسوغ، وكل ذلك لم يكن منه (ع) وإنما جاز أن يخفى خبر يوسف على يعقوب مع قرب المسافة بينهما، لان يوسف كان بمصر ويعقوب بأرض الجزيرة من أرض حران، ولم يعرف يوسف أباه مكانه ليزول همه، لانه في تلك المدة كان بين شغل وحجر على ما توجه سياسة الملك، وبين حبس في السجن، لانه مكث فيه سبع سنين لما محن به من امرأة العزيز، فلما تمكن من التدبير تلمظ في ذلك لئلا يكون من أخوته حال تكره في ايصال خبره إلى أبيه لشدة ما ينالهم من التهجين في أمره إذا وقف على خبره. وإنما جاز ان يستخرج الصواع من رحل أخيه مع ايجاب التهمة في ذلك عند الناس، وغم أبيه وأخيه خاصة وسائر اخوته عامة لوجوه: احدها - انه كان ذلك بمواطأة اخيه على ذلك بما يسر في باطنه.